



GETTY IMAGES

صورة الدولة عند غيرها من الدول أو الشعوب تتشكل انطلاقاً من صورتها هي عن نفسها. ولا شك أن أجهزة وأدوات الدعاية السياسية عند الدولة وعند أعدائها الخارجيين تلعب دوراً مهماً في هذا الصدد، لكنه دور تابع أو لاحق. إن هناك في طهران من ينشغلون كثيراً بتسويق الجمهورية الإسلامية في الوسط السنوي العربي. وتعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية بحق لاعباً ماهراً في التعاطي الدعائي مع محيطها العربي خاصاً. كما يخدم السلوك السياسي الداخلي والخارجي الصورة العامة للدولة.

من سوء حظ إيران أن الثورة السورية كشفت تقية السياسة الخارجية الإيرانية. صانع القرار الخارجي في إيران يتذكري منذ زمن طويل في التعامل مع المحيط العربي تحديداً. وقد حققت سياسة التذكري بعض النجاحات في إخفاء الوجه الطائفي على صعيد التعامل مع القضايا العربية وبالذات الفلسطينية. ترى هل هناك بصيص أمل في أن تتغير سياسة التذكري وتتوقف إيران عن دعمها للديكتاتور بشار الأسد وعصابته الحاكمة؟. الرئيس المصري المنتخب محمد مرسي قدم حل الإنقاذ إلى الأسد في شكل المبادرة الرباعية، ومع ذلك فلا يزال يرفضها، والسبب هو استمرار الدعم الإيراني المالي وال العسكري. أما على المستوى الدولي فالديكتاتور يعتمد على روسيا والصين. إيران الرسمية الآن على مفترق طرق، إما أن تواصل انحيازها الصريح إلى نظام دموي قاتل لشعبه. وهذا الخيار يجعل إيران تخسر سمعتها ومصالحها عند مئات الملايين من المسلمين السنة، أو ت نحو نحو الخيار الثاني فتتوجب إلى الرشد المذهبي

والسياسي وتخلي عن السفاح لتكسب رضا أمتها قبل فوات الأوان.

إن إيران المحاصرة والمعرضة للهجوم الإسرائيلي الأمريكي في أي لحظة يجب أن تعلم علم اليقين أنها ست Horm من نجدة نحو مليار وربع مليار مسلم سني فإذا وقع عليها العدوان لا قدر الله - ومن هنا فإن على صناع القرار في إيران إعادة النظر في عواقب الانحياز لنظام دموي قاتل لا تتجاوز قاعدته البشرية العلوية ملابين قليلة.

لست ممن تستهويهم كثيرا نظرية المؤامرة بشأن العلاقات الإيرانية - الأمريكية أو الصهيونية، لكن الإصرار الإيراني على التحالف مع الأسد من شأنه تدعيم نظرية التآمر الإسرائيلي - الإسرائيلي على ثورة سوريا.

تعتبر إيران نفسها دولة ذات حضارة عريقة ممتدة في التاريخ لآلاف السنين، وجاء وقت استطاعت فيه الامبراطورية الفارسية السيطرة على أجزاء كبيرة في العالم القديم.

وتشعر إيران بالفخر والندية في علاقاتها بالحضارات الأخرى غربية كانت أو شرقية. الحضارة الإسلامية اللاحقة مدينة لحضارة الفرس ببعض النظم الإدارية، وبعد لا بأس به من المفكرين والمفسرين واللغويين.

وعلى المستوى الاستراتيجي تحرص إيران المعاصرة على إظهار نفسها بمظهر الأمة القوية بحكم أن لديها حدودا قلقة: فهي الشمال بحر قزوين الغني بالنفط والغاز. ومن ثم فهناك أطماع خارجية.

وفي الجنوب تقع دول الخليج بحدود يبلغ طولها ألف وثمانمائة وثمانين كم، حيث الخزان الطبيعي الأكبر للنفط والغاز، وحيث مضيق هرمز. التدخلات الأجنبية بأشكالها الصريحة والمتخفية موجودة بالفعل من قديم.

وعلى الجانب الآخر هناك باكستان التي تمتلك قوة نووية. أما العراق، فالعداوة الإيرانية معه ظلت مستمرة منذ عهد الشاه، إلى أن وصل النظام البعثي السابق إلى الحكم فنالخصب الثورة الإيرانية العداء من بدايتها.

ثم تدهورت الأمور إلى حرب الثمانية سنوات. وفي 2003 حط العم سام بترسانته العسكرية الثقيلة في العراق فأصبح الأمريكيون قاب قوسين أو أدنى من الجمهورية الإسلامية الموسومة بمحور الشر.

وبما أن إيران دولة غنية باحتياطيات النفط والغاز، وبما أن موقعها الجغرافي مهم واستراتيجي، فمن حقها أن تكون لاعبا إقليميا له دور كبير في المنطقة، ولكن أمريكا تريد منها أو منافستها في ذلك..

إيران تخشى أن تفرض عليها الحرب ولها تعمد من حين لآخر استعراض قوتها العسكرية الصاروخية وتقوم بمناورات بحرية وبحرية.

الثورة الإيرانية ظلت تقدم نفسها منذ 1979 للشارع العربي المقموع كنموذج نجاح أطاح بديكتاتورية الشاه المدعوم غربيا. ثم أخذت إيران كدولة تقدم نفسها على أنها، ربما أكثر من غيرها، تعيد الاعتبار للإسلام والقضية الفلسطينية.

الموقف المناوئ لإسرائيل يعطي إيران جزءا من شرعيتها بين دول العالمين العربي والإسلامي. طهران طردت سفارة إسرائيل وأحلت محلها سفارة للفلسطينيين، بل واحتضنت مكاتب لمنظمتي المقاومة الفلسطينية الجهاد وحماس.

لكن إيران المحاصرة والمعاقبة منذ الثورة وحتى اليوم تشعر بأن جيرانها العرب لم ينصفوها. بالطبع تدرك إيران أنها كثولة شيعية المذهب محاطة بأغلبية سنية، كما تدرك قياداتها الفكرية والسياسية الوعائية أن الدولة كلما اتجهت نحو التشدد وسيطر عليها المحافظون، كلما ازداد نفور محبيها العربي السنّي منها.

يجب أن تتزايد ضغوط الداخل الإيراني المعتدل والضغوط العربية والإسلامية على النظام الإيراني كي ينحو إلى العقلانية وبحسب حساب الخسائر المترتبة على استمرار الانحياز إلى الجزار بشار ونظامه الدموي.

ومن حسن الطالع أن مصر الرسمية في شخص رئيسها الدكتور مرسي أوصل بنفسه هذه الرسالة إلى الإيرانيين في عقر دارهم. أما مصر الشعبية فأقطن أن التيار الإسلامي المعتدل ممثلا في جماعة الإخوان وحزبه لا يزال يفتح الباب لعودة إيران إلى رشدتها العقidi في نطاق التعامل الخارجي وبالذات مع الثورة السورية.

ومن تصاريف القدر أن القاهرة تشهد في الأسبوع الحالي والقادم فعاليتين علميتين بحثيتين من شأنهما كشف خطايا التشدد الطائفي الإيراني.

الفعالية الأولى بدأت الأحد بإشراف الدكتور محمد عمارة في قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف. أما الأخرى فمؤتمري علمي يشارك فيه عدد من الباحثين المصريين والعرب والإيرانيين ويتناول الدور الإيراني في سوريا.

المصدر: مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية

المصادر: